العرب يجنون على أنفسهم..!

› أحمد ناصر الشريف

لم يعد ما يجري في سوريا شأناً داخلياً أو تباكياً على ان الشعب السوري مظلوم في حقوقه وحرياته ويحكمه نظام ديكتاتوري.. ما يجري في سورياقد تجاوز كل هذه الاطروحات التي لم تعد تنطلي على أحد وأصبحت الحقيقة على الارض واضحة كوضوح الشمس في كبد السماء لا يستطيع أحد أن يحجبها أو يغطيها بمنخل. منذ أول يوم تم التدخل في الشأن السوري عرف هدف هذا التدخل بحجة الوقوف إلى جانب الشعب السوري وحمايته من القتل لكن مشكلة العرب ان عقولهم أصبحت عصية على الفهم وليس أمامهم خيار سوى أن يقولوا آمين، لكل ما يملى عليهم.في بداية الأحداث في سوريا تزامناً مع اندلاع ثورات الربيع العربي التي قام بها الشباب واستطاعوا ان يسقطوا أربعة حكام مع انظمتهم خلال العام 2011م طرح النظام السوري عدة مبادرات كانت تهدف إلى التفاوض مع المعارضة في الداخل والخارج وصولاً إلى تفاهم مشترك وتشكيل حكومة انتقالية تعد لانتخابات قادمة تكون فيها المعارضة رقماً مهماً واذا ما فازت فيها ستكون الحاكمة.. لكن لأن هذه المعارضة المرتبطة بالخارج والتي تتكون من عدة فصائل حيث كل فصيل منها يخضع خضوعاً مباشراً لما يملى عليه من الجهة الخارجية المرتبط بها فقد فاتت عليهم هذه الفرصة ولم يحسنوا استغلالها لأن الامر لم يكن في ايديهم اصلاً ولم تكن المعارضة موحدة ولذلك فقد وضعوا شروطاً تعجيزية منها تخلي الرئيس بشار الاسد عن السلطة، مراهنين في نفس الوقت على عامل الوقت لسقوط النظام بالكامل اسوة بما حدث في تونس ومصر وليبيا واليمن غير مدركين ان الظروف في سوريا تختلف وان النظام فيها ليس هشاً لدرجة ان يسقط بمجرد خروج الآلاف الى الشوارع يهتفون: الشعب يريد اسقاط النظام.

لكن لأن هدف الخارج كان اكبر بكثير من اسقاط النظام في سوريا فقد تم اللجوء إلى اساليب أخرى لايجاد افغانستان جديدة في المنطقة العربية بهدف زعزعة الأمن والاستقرار فيها وتحقيق الهدف الرئيسي وهو القضاء على الجيش العربي السوري وتفكيكه كما حصل في العراق خدمة للعدو الصهيوني بعد أن أمن مكر الجيش العراقي وتحييد الجيش المصري بعد اخراجه من معادلة الصراع العربي- الاسرائيلي بموجب اتفاقية كمب ديفيد التي وقعها الرئيس الراحل أنور السادات مع رئيس وزراء الحكومة الصهيونية حينها مناحيم بيجن برعاية الرئيس الامريكي الأسبق جيمي كارتر.. وقامت يومها قيامة العرب وسارعوا إلى قطع علاقاتهم مع مصر احتجاجاً على هذه الخطوة التي اقدم عليها الرئيس انور السادات دون التشاور معهم وتم نقل الجامعة العربية من القاهرة الى تونس بهدف عزل مصر عربياً.. ولم يتنفس العرب الصعداء إلا بعد مقتل الرئيس السادات على أيدي الجماعات الرسلامية المتشددة بتاريخ 6 اكتوبر عام 1981م وتعيين نائبه حينها محمد حسني مبارك رئيساً لمصر الذي استطاع في غضون فترة قصيرة بعد تسلمه الحكم ان يعيد علاقة مصر مع العرب إلى سابق عهدها واعادة الجامعة العربية من تونس الى القاهرة. ومن المفارقات العجيبة ان الذي سعى لإعادة علاقة العرب بمصر هو الرئيس الراحل صدام حسين الذي كان اكثر المتشددين على قطعها واتخذ قرار قطع علاقات الدول العربية مع مصر في مؤتمر قمة عربي عقد في بغداد وكذلك عودتها.. وحين اندلعت الحرب العراقية-الإيرانية سارع الرئيس الراحل صدام حسين إلى ارسال وفد عراقي إلى مصر يطلب العون العسكري منها رغم قطع العلاقات معها مستغلاً العداء الذي كان قائماً بين الرئيس أنور السادات والإمام الخميني مرشد الثورة الاسلامية في ايران بسبب استضافة مصر لشاه إيران الامبراطور محمد رضا بهلوي بعد الاطاحة به ورفضت كل الدول التي طرق أبوابها استقباله حتى للعلاج بما فيها حليفته الكبرى امريكا.

هنا يطرح السؤال نفسه: من كان يصدق ان العرب الذين سارعوا الى قطع علاقة دولهم بمصر في أواخر عهد الرئيس السادات احتجاجاً على توقيعه اتفاقية سلام مع اسرائيل واعتبار حرب 6 أكتوبر عام 1973م آخر الحروب بين العرب واسرائيل؟ هم انفسهم اليوم الذين يدافعون عن اسرائيل ويحرضونها على بعضهم وكأنها ارحم بهم من انفسهم؟

وما يجري في سوريا خير دليل على هذا التوجه العربي الجديد.. فقد اتخذوا من ديكتاتورية النظام وحرمانه للشعب السوري من حقوقه وحرياته حسب زعمهم ذريعة ليستقدموا اليه المسلحين والمجاهدين من مختلف أنحاء المعمورة للقتال ضد النظام وتقديم مختلف الأسلحة المتطورة لهم بما فيها صواريخ لاسقاط الطائرات وحسب بعض التقارير انهم حصلوا على سلاح كيميائي فخلقوا بذلك افغانستان أخرى في المنطقة العربية وتسببوا في انقسام العرب بين مؤيد ومعارض ومحايد.. ولأنهم خلال فترة تزيد عن عامين ونصف العام لم يستطيعوا ان يسقطوا النظام ولا ان يفككوا الجيش السوري كما حصل في العراق بل وخسرت الجماعات المسلحة الكثير من المكاسب التي كانت قد حققتها على الأرض عند بداية التدخل الاقليمي والدولي في الشأن السوري فقد لجؤوا إلى ايجاد حجة قوية تم التخطيط لها جيداً تستفز المجتمع الدولي للتدخل عسكرياً وتتمثل هذه الحجة في تلك الجريمة الإنسانية البشعة التي تم ارتكابها في الغوطة القريبة من العاصمة دمشق والتي استخدم فيها السلاح الكيميائي الذي أودى بحياة المئات من الأبرياء في هذه المنطقة، حيث توفي معظمهم اختناقاً وسرعان ما نسبت الدول المتدخلة في الشأن السوري هذه الجريمة الشنعاء إلى النظام السوري مع انه هو الأقوى في الميدان وليس بحاجة الى استخدام مثل هذا السلاح المحرم دولياً.

ومع ان تقرير المفتشين الدوليين الذين دخلوا إلى هذه المنطقة للتحقيق في هذه الواقعة وتحديد الفاعل لم يعلن بعد لكنهم لم ينتظروا ظهور النتيجة لأن الهدف اولاً واخيراً من هذه الجريمة هو جعلها ذريعة للتدخل العسكري ولو بضربات محددة ومركزة كما اعلن رئيس الادارة الامريكية باراك حسين اوباما الذي أجل الضربة وربطها بموافقة الكونغرس بعد ان رفض مجلس العموم البريطاني التدخل عسكرياً في سوريا دون دليل يدين النظام السوري واعلنت المانيا انها لن تشارك واعترضت دول مهمة مثل ايطاليا ودول أخرى اعضاء في الاتحاد الأوروبي خوفاً من التورط في سوريا بدون موافقة مجلس الأمن الدولي.. لكن لأن العرب هم الأشد عداوة لبعضهم فهم لا يحسبون حسابات النتائج بقدر ما يهمهم قهر بعضهم البعض وتصفية حسابات خلافاتهم حتى لو خسروا كل شيء ولذلك فقد سارعوا إلى تقديم اجتماع وزراء الخارجية العرب الذي عقد الأحد الماضي في مقر الجامعة العربية بالقاهرة واصدروا بياناً يحمل النظام السوري مسؤولية ما حدث في الغوطة قبل التأكد مما سيقوله تقرير المفتشين الدوليين ربما استباقاً للنتيجة التي قد تكون عكسية وطالبوا بسرعة التدخل العسكري الدولي وهو ما يؤكد انهم متعطشون لسفك دماء الأبرياء اكثر من اعدائهم، اما النظام فلن يسقط بضربة محددة ولن تحقق مكاسب للمسلمين على الأرض.

مصدر السلطة بين الشعب ورجال الدين

› عبدالله الدهمشي

يقر الدستور اليمني بأن الشعب هو مالك السلطة ومصدرها وان الشعب يفوض من يختارهم بحرية لإدارة هذه السلطة وفقاً للعقد الاجتماعي ومحدداته التي تقر تجزئة هذه السلطة الى ثلاث سلطات : التشريعية والتنفيذية والقضائية وهنا يكون الشعب مصدر السلطة التشريعية .

ومن حق الشعب أن يقيد صلاحيات السلطة التي فوضها بحرية ، وأن يخضعها للرقابة والمساءلة ، محتفظاً بحقه في معارضتها والاعتراض على ادائها ورفض ما يصدر عنها مخالفاً لإرادته ومضاداً لمصلحته، بأشكال من الرفض والاعتراض ، تتيح للشعب حق إسقاط هذه السلطة واستبدالها في انتخابات مبكرة .

يقيد الشعب صلاحيات السلطة التشريعية من خلال العقد الاجتماعي بقيود منها الرقابة القضائية على التشريعات الصادرة عنها من خلال المحكمة الدستورية المختصة بالبت في دستورية القوانين والتشريعات التي تصدرها سلطة التشريع ، ذلك ان الدستور هو المبدأ الاسمى في مرجعيته وإلزامه لصلاحيات وأداء السلطات الثلاث ، وهنا يتأكد لنا ان السلطة بتفرعاتها مقيدة بالدستور محكومة بالإرادة الشعبية ، التي تمنع خروجها عن ارادتها وتعارضها مع هذه الارادة ومصالح المواطنين ، بما فيها ما يخالف العقائد والأخلاق .

بعد هذا تصر جماعات وأحزاب من التيار الديني على تضمين الدستور نصوصاً ملزمة تنتقص من السيادة الشعبية وكونها مصدر السلطة ، بحشر الاسلام في هذه المصدرية بدعوى انه المصدر الوحيد للتشريع ، وهذا النص مخادع لاستحالة تحقيقه من جهة ، ولتضمنه وصاية على السيادة الشعبية لجهة تمثل الاسلام في تقرير ما هو فيه وما ليس منه من جهة اخرى ، هذه الجهة محددة عموماً برجال الدين بدون تخصيص ولا تنظيم، والمفروض أن تكون مطابقة الاسلام او مخالفته محددة بالدستور لتكون التشريعات مقيدة بدستوريتها من عدمها ومحددة بسلطة المحكمة الدستورية المختصة بمهام الرقابة القضائية على التزام سلطات الدولة بحاكمية الدستور وسموه الاعلى .

تكون القوانين الصادرة عن السلطة التشريعية المقيدة للحرية مثلاً غير دستورية حين تقيد ما اطلقه الدستور من حرية ، وتكون كذلك اذا تضمنت ما ينتهك العدالة المكفولة من الدستور ، فهل تكون القوانين غير دستورية اذا جاءت من مصدر غير الاسلام ولم تتعارض مع روح الدستور ونصوصه ؟! نتساءل ونحن نعلم أن المتاجرة بالدين تبحث عن مصالحها باسم الإسلام وهي لا تمتلك من فقه السياسة وعلومها شيئا يعتد به في المجال السياسي فكراً وممارسة.

الإخوان .. والانهيار المبكر

› يونس هزاع

(85 عاماً،9 مرشدين) رحلة الجماعة إلى السلطة شاخت خلالها الجماعة وأصابها ما أصابها من التعب والاعياء .. انهكتها حملات المطاردة والاعتقالات .. لم يسعفها الوقت لتلتقط أنفاسها وترتب أوراقها سواء على مستوى البناء التنظيمي لها أو على مستوى الرئاسة ومؤسسات الدولة.. وكانت الأرضية الرخوة والزلقة التي أسقطتها أرضاً بسرعة قصوى علاقتها شبه المفقودة والهشة مع المؤسسة العسكرية، والمؤسسات الإعلامية، والأدباء ، والمفكرين ، والسلطة القضائية .. اذ لم يكن كافياً أن يصل مرشحها إلى رئاسة جمهورية مصر العربية لكن كان الأهم أن يتمكن من الاحتفاظ بموقعه وتعزيز حضوره وحضور جماعته في دولة المؤسسات التي لم تكتمل بعد..

في هذه الوضعية لم تكن جماعة الإخوان أكثر من ظاهرة صوتية حينما افتقدت الجناح العسكري القادر على تأمين احتفاظها بالسلطة حتى دورها كظاهرة صوتية عجزت عن مجابهة الترسانة الإعلامية المضادة ..

فشلت الثوره ، وفشلت الديمقراطية الوليدة في مصر والفضل يعود في ذلك إلى جماعة الإخوان الذين لم يتمكنوا من حماية الديمقراطية نتيجة تنكرهم المبكر لشركائهم في ثورة 25 يناير ومحاولة الانفراد الغبي بقيادة البلاد فتآكلت شعبيتهم أمام تزايد شعور المواطن المصري بخيبة الأمل والاحباط في زمن قياسي لم يتجاوز العام الواحد من حكم رئيس الجمهورية الإخواني الذي بدا هشاً وضعيفاً وغير قادر على السيطره .

ليست مصر وحدها التي تعاني من هذا الفشل لكن تونس وليبيا أيضاً تعيشان حالة الترنح في ثنايا القائد المحكوم بعقلية الكهنوت أو المرشد الذي لا يزال عاجزاً عن تقديم البديل الأفضل لسابقه، وسيظل عاجزاً بحكم تكوينه ، وفكره ، وتركيبته ، ورفض الشارع له .. الشارع العربي الذي خرج إلى الساحات بحثاً عن الأفضل لا من أجل العودة إلى الوراء عشرات السنين ، بحثا عن التمكين للشباب والنساء لا من أجل المزيد من البطالة والاقصاء.

ان حالة التخبط التي تعيشها جماعة الإخوان سواء في استحضار تاريخها العدائي للزعيم جمال عبدالناصر أو في توسيع دائرة عدائها للقوى والاتجاهات الليبرالية والعلمانية جعلها تحشر نفسها بنفسها في زاوية تلقي الضربات المتتالية من الخارج والداخل .. اذ لا يكفي أن تطلق الهتافات بسقوط الانقلاب ، وتبالغ في الاعتصامات والمسيرات والمظاهرات لتستهلك ما تبقى لها من جهد في اقناع الآخرين بأن ما حدث لها انقلاب في الوقت الذي يعرف الجميع أنه انقلاب ثوري وتفويض شعبي طارئ فرضته حالة الجمود. فخلع الرئيس والمرشد. ومن معه من القيادات التي شاخت وهرمت رافضة أن تتيح فرصة القيادة حتى للدماء الشابة في اطارها.. انقلاب ايجابي ليعيد من جديد الاعتبار لمكانة مصر كدولة ، وشعب ، وقوات مسلحة تأبى أن تتقزم أو تختزل في عقليات ذلكم النفر الذين يحتكرون كل شيء حتى الدين والوطنية والتاريخ والجغرافيا .. ولا يعترفون بالفنون والآداب والتراث والثقافة والابداع .

ان الإخوان لا يتعلمون من دروس الماضي وليس لديهم الاستعداد لاستيعاب الحاضر لسبب بسيط أنهم يعتقدون خطأ أنهم فقط من يدينون بالإسلام ويفسرون مفاهيمه بالطريقة التي يعتقدون .. انهم يهللون ويكبرون ولا يستمعون تهليل وتكبير الآخر لأنهم يعتبرون الآخرين أياً كانوا شياطين بينما هم الملائكة.

› خالد منتصر

يا دمشق.. إذا احترقت البيوت.. فهل تحترق الأبيات؟

دمشق كما سكنت القلوب سكنت أبيات الشعر، ما من شاعر عربي إلا وسكنته دمشق واستوطنت وجدانه حتى ولو كانت مجرد زيارة قصيرة، فدمشق لا تعرف الترانزيت، بل هي تحترف الإقامة الدائمة والبصمة المزمنة حتى ولو غادرتها جسداً، فهى في عمق الروح، كتب عنها أمير الشعراء أحمد شوقي إبان القصف الفرنسي الوحشي عليها 1925 بقيادة الجنرال سيراي والذي دمر أجمل وأروع مبانيها القريبة من سوق الحميدية، تركها خرابة وأطلالاً ورماد حريق، حتى إن السوريين أطلقوا على المنطقة المدمرة اسم «الحريقة»، وما أشبه الليلة بالبارحة وما أشبه أمريكا بفرنسا وما أشبه الجنرال أوباما بالجنرال سيراي، يقول شوقي:

سلام من صبا بردى أرقّ
ودمع لا يُكفكَف يا دمشقُ
وذكرى عن خواطرها لقلبي
إليك تلفّتّ أبداً وخفقُ
لحاها اللهُ أنباءٌ تَوالَت
على سمع الوليّ بما يشقّ
وقيلَ معالمُ التاريخ دُكّت
وقيلَ أصابها تلفٌ وحرقُ
دمُ الثوّار تعرفه فرنسا
وتعلم أنه نورٌ وحقّ
نصحتُ ونحن مختلفون داراً
ولكن كلّنا في الهم شرقُ
وقفتم بين موت أو حياة
فإن رُمتم نعيم الدهر فاشقوا
وللأوطان في دم كل حر
يدٌ سَلَفت ودينٌ مُستحَق
ولا يبنى الممالك كالضحايا
ولا يُدني الحقوقَ ولا يُحِقّ
وللحرية الحمراء بابٌ
بكل يد مضرجةٍ يُدقّ
جزاكم ذو الجلال بنيَ دمشقَ
وعزّ الشرق أوله دمشق

■ كتب عنها ابنها نزار قباني الذي خلدها شعراً ونثراً فكانت سيدة المدن التي تربعت على عرش وجدانه، أقتبس من نزار هذه الأبيات عن دمشق الفيحاء:

هذي دمشقُ وهذي الكأسُ والرّاحُ
إنّي أحبّ وبعضُ الحبّ ذبّاحُ
أنا الدمشقي لو شرّحتمُ جسدي
لسالَ منهُ عناقيدٌ وتفّاحُ
ولو فتحتُم شراييني بمديتكم
سمعتمُ في دمي أصواتَ من راحوا
زراعةُ القلبِ تشفي بعضَ من عشقوا
وما لقلبي -إذا أحببتُ- جرّاحُ
ألا تزال بخير دار فاطمة
فالنهد مستنفر والكحل صبّاح
إن النبيذ هنا نار معطرة
فهل عيون نساء الشام أقداح
مآذنُ الشّام تبكي إذ تعانقني
ولَلمآذنِ كالأشجارِ أرواحُ
للياسمينِ حقولٌ في منازلنا
وقطّةُ البيتِ تغفو حيثُ ترتاحُ
طاحونةُ البنّ جزءٌ من طفولتنا
فكيفَ أنسى؟ وعطرُ الهيلِ فوّاحُ
هذا مكانُ «أبي المعتزّ» منتظرٌ
ووجهُ «فائزة» حلوٌ ولماحُ
هنا جذوري هنا قلبي هنا لغتي
فكيفَ أوضحُ؟ هل في العشقِ إيضاحُ؟

■ كتب عنها الشاعر الفلسطيني محمود درويش:

في دمشق تطير الحمامات
خلف سياج الحرير
اثنتين اثنتين
في دمشق أرى لغتي كلها على حبة قمح مكتوبة
بإبرة أنثى ينقحها حجر الرافدين
في دمشق تطرز أسماء خيل العرب
من الجاهلية حتى القيامة أو بعدها
بخيوط الذهب
في دمشق تسير السماء على الطرق القديمة
حافية حافية
فما حاجة الشعراء إلى الوحي والوزن والقافية

■ وكتب عنها شاعر العراق الجواهري:

شممت تربك لا زلفى ولا ملقا
وسرت قصدك لا خبّا ولا مذقا
وما وجدت إلى لقياك منعطفا
إلا إليك وما ألفيت مفترقا
كنت الطريق إلى هاو تنازعه
نفس تسد عليه دونها الطرقا
وكان قلبي إلى رؤياك باصرتي
حتى اتهمت عليك العين والحدقا
شممت تربك أستاف الصّبا مرحا
والشمل مؤتلفا والعقد مؤتلقا
وسرت قصدك لا كالمشتهى بلدا
لكن كمن يشتهي وجه من عشقا
قالوا «دمشق» و«بغداد» فقلت هما
فجر على الغد من أمسيهما انبثقا
دمشق عشتك ريعانا وخافقة
ولمة العيون السود والأرقا
تموجين ظلال الذكريات هوى
وتسعدين الأسى والهمّ والقلقا